القضية الفلسطينية نتيجة لمثل هذه الاتفاقات في المستقبل ، كون التنازلات التي انطوى عليها الاتفاق ، ليست سوى الدفعة الاولى ، وربما الصغرى ، على حساب التسوية السلمية الشاملة . ولئن كان مثل هذه التنازلات يبدو ثمنا باهظا ، ينتزعه العدو من الامة العربية ، لقاء انسحاب طفيف (٥٪) في سيناء النائية ، فلنتصور حجم التنازلات التي سيطلبها مقابل التخلي عن الجولان او عن الضفة الغربية مثلا ، في اطار مفاوضات كهذه الجارية . وسنحصر كلامنا هنا في عدد قليل من المسائل ، اذ ليس همنا فيما نقول التهويل بعظم المصاب .

تقول المصادر المصرية المسؤولة بان الاتفاق كان كسبا صافيا تقريبا لمصر . فهي قد استعادت ارضا مصرية ، تتضمن مواقع استراتيجية وموارد اقتصادية هامة ، بينما دفعت اميركا الثمن . وتشير جميع الدلائل الى ان العدو كان راضيا جدا عن الاتفاق . فقد صوت الى جانبه سبعون نائبا في الكنيست — وهو تقريبا العدد الذي ايد اتفاقات الفصل بين القوات في حينه . ويرى وزير خارجية العدو ان التأييد الشعبي للاتفاق في اسرائيل سيزداد كلما تكشفت بنوده ، وبرز على حقيقته . والمعروف ان ادارة فورد كانت تسعى جاهدة لانجاز هذا الاتفاق . وها هي قد احرزت مبتغاها ، مع كل ما استتبع ذلك من امتيازات . ومن المؤكد ان كيسنجر لن يذرف هذه المرة سوى دمعات الفرح . واذا صرفنا النظر عن الضرر غير المباشر الذي لحق بجماهير الامة العربية عامة ، والمصرية خاصة ، والذي ستظهر اثاره في المستقبل المنظور ، يبقى ان الشعب الفلسطيني ، ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية ، كان الخاسر المباشر الوحيد من هذا الاتفاق . وعليه ، فلا غرو ان منظمة التحرير ، قد بادرت الى التصدي للاتفاق ، وشمرت عن ساعدها للعمل على افشاله .

وليست خسارة الفلسطينيين في انهم خرجوا صفر اليدين من هذا الاتفاق ، ولا هي في انه جاء خلوا من أية ضمانات لحقوقهم ، او اشارة الى برامجهم المرحلية وسواها، فهذه في الظروف الراهنة ليست خسارة . وانما خسارتهم هي في عرقلة مسيرتهم النضالية من اجل تحرير بلدهم ، وفي المكاسب التي يحرزها نقيضهم ، التجمع الاستيطاني الصهيوني ، في هذه الاتفاقات ، خاصة في مجال الاعتراف بشرعية كيانه السياسي ، والتي لا يمكن لها ان تكون الا على حسابهم . فكيف ينظر الشعب الفلسطيني الى الحكم المصري ، وهو يجاهر بمكاسبه من الاتفاق ، وشريكاه في ذلك هما العدوان الالدان لهذا الشعب — الامبريالية الاميركية والاستيطان الصهيوني . ناهيك عن ان الاتفاق الراهن ليس الا خطوة من خطوات ، وقد تكون كثيرة ، على طريق التسوية الطويلة المطروحة ، والتي لن تأتي في نهاية المطاف ، دون ان يتحمل الشعب الفلسطيني ، على وجه الخصوص ، وزر تبعاتها . ومع ذلك ، فلا ينبغي الانسراف في تقدير الانعكاسات السلبية لهذا الاتفاق على نضال الشعب الفلسطيني ، وعلى حقوقه المشروعة ومصير ثورته . فهذا الشعب وثورته قد شبا عن الطوق ، وتجاوزا الوصاية ، وبيدهما مقاليد امورهما . وفي حين لا يجوز السكوت عن التمادي على حقوق الشعب الفلسطيني ، لا بد من التقرير بان هذه ليست لقمة سائغة لمن سولت له نفسه ذلك . وتاريخ القضية الفلسطينية يثبت ذلك . اما اعتراف اطراف ، ولو كانت عربية ، بشرعية ما للاغتصاب الصهيوني ، فانه لا يلزم الطرف الاصيل في الصراع ، بقدر ما يجرح هؤلاء .